الفصـــل الخامـــس

====

الخلفية التاريخية للصراع بين القوى المسيحية والإسلامية في الحبشة منذ بداية القرن الرابع عشر إلي نهاية القرن التاسع عشر ودور العفر فيها

المحتويـــات :

١ – الخلفيـــة التاريخيـــة٠

٢ – العلاقات بين أكسوم وبلاد العرب٠

٣ – بداية الصراع بين المسيحيين والمسلمين٠

١ - الخلفيـــة التاريخيـــة

تعتبر إثيوبيا فى نظر الإثيوبيين أنفسهم ، وفى نظر بقية دول العالم ، دولة فريدة من نوعها فى إفريقيا. فبالرغم من كونها دولة إفريقية صميمة بحكم موقعها الجغرافى ، فإن تكوين سكانها العرقى وماضيها السياسى والاقتصادى وتطور ثقافتها يربطها بدرجات متفاوتة بالشرق الأوسط . فقد كان لقرب القرن الإفريقى من جنوب شبه الجزيرة العربية بصفة خاصة أثر فعّال ودائم فى تاريخ إثيوبيا فى الألف سنة الأولى قبل الميلاد على الأقل . فالنشاط التجارى والبحرى للقبائل السامية بجنوب غرب شبه الجزيرة العربية قادهم لعبور مضيق باب المندب والوصول إلى سواحل شرق إفريقيا وجزر البحر الأحمر وساحله الغربى . وبنفس القدر كذلك إلى السواحل الآسيوية فى المحيط الهندى (١) .

وبالطبع كانت أنظار المهاجرين العرب الأوائل مركزة منذ البداية حول السواحل والبلاد الواقعة بالقرب منهم خلف البحر الأحمر . وقد ساهم فى ذلك ضيق البحر الأحمر وهدوء الملاحة فيه نسبيا فى أغلب فصول السنة .

وكان مجيئهم فى الغالب طلبا للرزق من وراء توسيع نشاطاتهم التجارية وللاستيطان حينا آخر .

---

(١) الأمين عبدالكريم : الصراع بين القوى الإسلامية والمسيحية فى إثيوبيا إلى نهاية القرن التاسع عشر ، مجلة دراسات إفريقية ، العدد الأول ، رجب ٥-١٤ هـ ، ابريل ١٩٨٥م .

وقد ازدادت هجرات أولئك الوافدين عندما تغيرت الأحوال المناخية فى موطنهم الأصلى، مما دفع بهجرات سامية متعددة للبلاد المجاورة الخصبة وأهمها بلاد الصومال وإثيوبيا وشواطئ إفريقيا الشرقية (إريتريا) · ويعتقد بعضهم أن انهيار سد مأرب عام ١٢٠م ، والطوفان الذى أحدثه كان له أثر عظيم فى هجرة مجموعات عديدة من اليمن وحضرموت ، دخل بعضها إلى بلاد الصومال – إريتريا – وإثيوبيا · وقد أسست مجموعات من هؤلاء المهاجرين والمغامرين عدة مراكز تجارية وعسكرية على طول الساحل الغربى للبحر الأحمر والسهول المتاخمة له · وبعد ذلك توغل بعضهم إلى الداخل واستوطنوا فى الهضبة حيث تزاوجوا واختلطوا مع السكان المحليين الكوشيين ·

وبالرغم من أن هؤلاء المهاجرين وفدوا فى فترات متباعدة ، وبأعداد صغيرة، فإن الذين استقروا منهم هناك استطاعوا بفضل حضارتهم وثقافتهم الراقية أن يبسطوا سيطرتهم على العناصر المقيمة · وبالتدرج فقدوا تميزهم العرقى واندمجوا وسط الجماعات الموجودة آنذاك من السكان الكوشيين، وأدى هذا التمازج العرقى والتلاقح الحضارى إلى ظهور دولة أكسوم فى منتصف القرن الأول الميلادى · وهكذا نجد أن مملكة أكسوم ترجع بجذورها التاريخية القديمة وإرثها السياسى والحضارى إلى الكوشيين الأفارقة والساميين القادمين من جنوب غرب شبه الجزيرة العربية (١) ·

ومن أبرز المميزات التى تنفرد بها إثيوبيا هى أن كنيستها الأرثوذكسية تعتبر أقدم كنيسة مسيحية فى إفريقية ، بخلاف الكنيسة القبطية الأم فى

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٤٢ ·

مصر · فقد كان مجيء المسيحية نتيجة للتوسع التجارى والصلات الثقافية بين مملكة أكسوم والهيلينيين فى سوريا ومصر ·

وأول ملك أكسومى تم تنصيره فى منتصف القرن الرابع الميلادى هو «عيزانا» ، الملقب أحيانا بـ « قسطنطين إفريقيا » (١) · تلا ذلك انتشار الدين الجديد وسط السكان المحليين بصورة تدريجية ، وفى مناطق جغرافية متفرقة· لهذا وللعزلة التى عاشتها إثيوبيا عن العالم المسيحى الخارجى ، تسربت إلى الديانات المسيحية الإثيوبية بعض المعتقدات من ديانات أخرى مثل السريانية واليهودية بجانب الوثنية الإفريقية، مما ميزها بطابعها الخاص · ومع ذلك – وبعكس صور التمازج الحضارى الأخرى التى زالت واختفت بزوال مملكة أكسوم – فإن هذه العقيدة الجديدة نمت وتعمقت · فلم تكتف بأن صارت الدين الرسمى للدولة وللمجتمع الإثيوبى فحسب، بل شكلت أقوى عوامل التكامل والعنصر الأساسى للوحدة القومية الإثيوبية (٢) ·

ومن العوامل التى لا تقل أهمية عن الكنيسة الأرثوذكسية وجود ما يسمى بـ « سلالة الأباطرة السليمانيين» الحاكمة · فأباطرة إثيوبيا كانوا يدعون لأنفسهم شرعية تاريخية شبه إلهية ، على أساس نسب مؤسس دولتهم منليك الأول، والذى يدعى بأنه ولد نتيجة علاقة بين الملك سليمان والملكة بلقيس ملكة سبأ والتى تعرف فى إثيوبيا باسم ماكيد (٣) ·

---

(١) محمد عثمان أبو بكر : كتاب تاريخ إريتريا المعاصر أرضا وشعبا ، القاهرة ١٩٩٤، ص ٨٠ ·

(٢) الأمين عبدالكريم : مصدر سابق ، ص ٤٢ ·

(٣) عن الأساطير الإثيوبية القائلة بتسلسل الأسرة الحاكمة من سيدنا سليمان بن داود ملك بيت المقدس فى القرن العاشر قبل الميلاد ·
يمكن الرجوع إلى زاهر رياض : قصة ملكة سبأ بين الأسطورة والتاريخ ، تاريخ ملكة سبأ ، ١٩٦٦، ص ٢٦ – ٣٢ ·

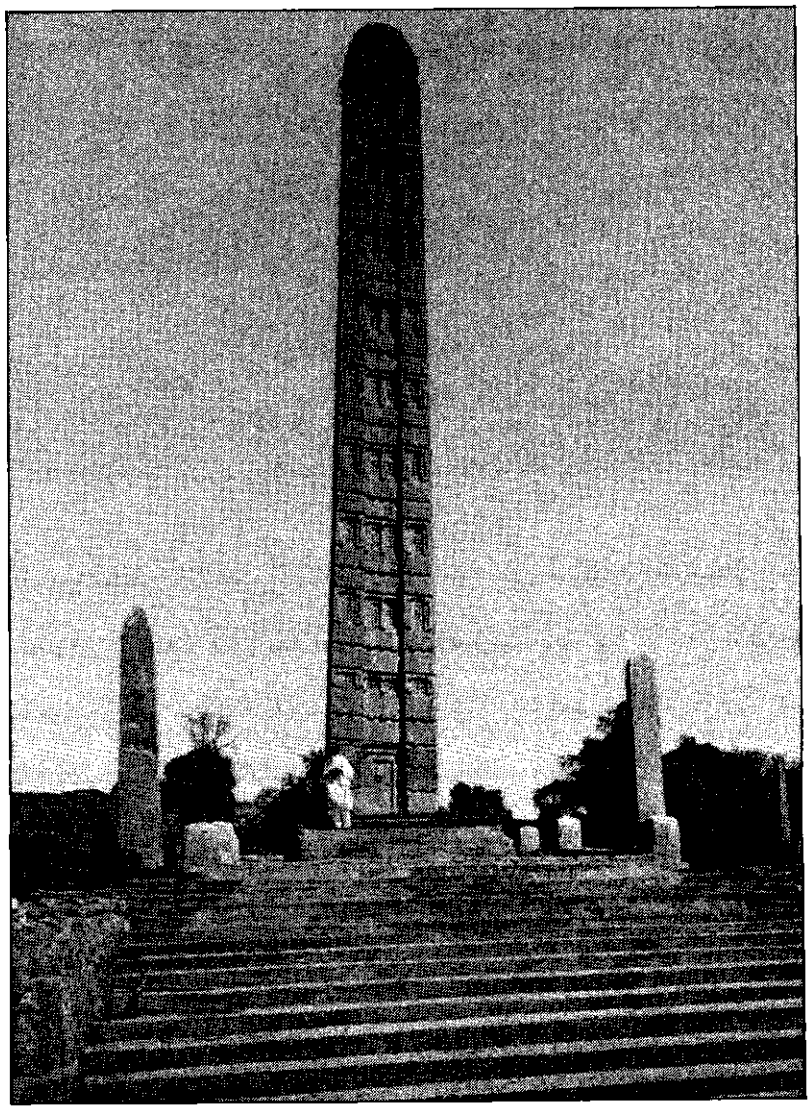

مسلة أكسوم

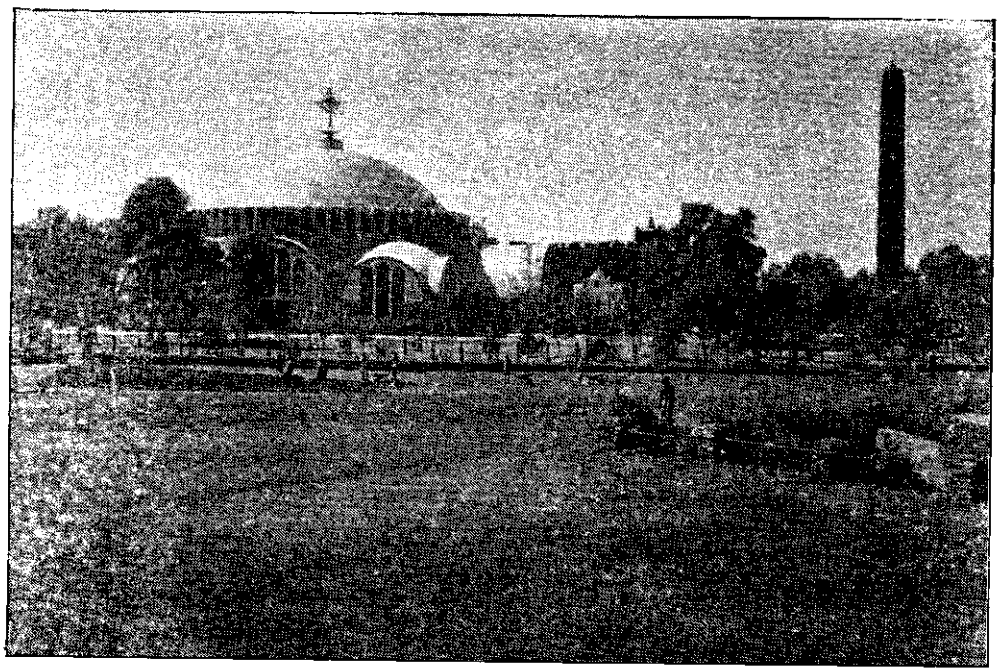

كنيسة أكسوم

وبغض النظر عن عدم صحة هذا الادعاء من الناحية التاريخية، فإن أهمية هذه الأسطورة لا تقف عند حد أنها معترف بها بصفة عامة وذات مدلولات لاهوتية معا ، بل إن تركيبة المجتمع الإثيوبى – ما قبل انقلاب ١٩٧٤م – كانت كلها قائمة على هذا الاعتقاد · فقد أوجد هذا الاعتقاد المبرر الأيدولوجى للعلاقة المتينة بين الكنيسة الأرثوذكسية والعائلة الإمبراطورية المالكة · ومن ثم بررت الهيئة الثقافية والسياسية والعسكرية للإثيوبيين وسوغت ميولهم التوسعية · كما ساهمت فى إدخال المفاهيم العنصرية لتبرير إخضاع واستعباد غير الإثيوبيين المسيحيين الذين يختلفون عنهم، على أساس الدين والشكل وأسلوب الحياة · فالمسوغات الدينية والقانونية من قِبَل كل من الكنيسة والدولة كانت تستنبط من سفر الأوروبيين (Liviticus) ومن الشريعة الموسوية (Mosaiclaw) ثم طورت فيما بعد فى كل من الكبراناجست

(Kebranagast) (مجد الملوك) والفتحانجست (قانون الملوك) – بالإضافة إلى سفر التكوين (Fethnagast) وغيره من الكتب الأخرى ٠

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره، فإثيوبيا هى الدولة الإفريقية الوحيدة المحظوظة التى سلمت من سيطرة الاستعمار الأوروبى الحديث ٠ ومن ثم استطاعت ليس فقط الحفاظ على استقلالها وسيادتها السياسية ، بل إنها صارت مشاركة فى عملية التوسع والاستحواذ على منافع مادية بالحصول على أراضى جديدة ضمتها إلى ملكها ٠ فالفتوحات التى تمت فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى نتج عنها ميلاد دولة إثيوبيا المعروفة بحدودها لدينا اليوم باستثناء إريتريا ٠فقد كان المستعمرون الأوروبيون الذين أبرمت إثيوبيا معهم إتفاقيات حدود هم المنافسون الوحيدون لها ، كما فعلوا مع بعضهم البعض ٠ فقد هزمت إثيوبيا وأخضعت شعوبا ينتمون إلى أصول عرقية وديانات مختلفة ، والذين كانوا يعتبرون فى نظر الإثيوبيين المسيحيين أنهم فى مستوى أدنى منهم من الناحية الثقافية والعرقية ٠ فالأراضى التى أضيفت كانت أكبر فى الحجم إذا ما قورنت بحجم الدولة الإثيوبية الحقيقية ٠ ومن حيث العدد فإن المجموعات العرقية والدينية والتى تتكون من المسلمين والوثنيين الذين أضيفوا قهرا إلى الدولة يفوقون الإثيوبيون المسيحيين عددا ٠

وإثيوبيا بحدودها الدولية المعترف بها حاليا تضم عددا من المسلمين يتراوح عددهم بين ٥٠٪ – ٦٠٪ من جملة سكانها (١) ٠

---

(١) الأمين عبدالكريم : مرجع سابق . ص ٤٣ ٠

٢ - العلاقة بين أكسوم وبلاد العرب :(١)

لقد كانت لمملكة أكسوم علاقات وطيدة مع بلاد عدة ، منها الإمبراطورية البيزنطية وسوريا الهيلينية ومصر وجنوب شبه الجزيرة العربية بشكل خاص· وقد تدخلت أكسوم عسكريا مرتين فى جنوب شبه الجزيرة العربية فى نهاية القرن الثالث الميلادى وبعده بقليل ، حيث بسطت سيطرتها على مملكة حمير لفترة قصيرة ، ولكن قبل منتصف القرن الرابع الميلادى عادت مملكة حمير مستقلة مرة أخرى · وبصفتها حليفة لبيزنطة فقد تبنت أكسوم قضية المجموعات المسيحية فى اليمن ونجران بالذات· ففى أعوام ٥٢٣ م – ٥٢٥ م قاد الملك الأكسومى كالب (كذلك يسمى ال أصبحا عند الإثيوبيين) حملة بحرية انتقم بها من قتل المسيحيين هنالك وإجبارهم على اعتناق اليهودية فى عهد ذى نواس ، وقد انتهت تلك الحملة بهزيمة اليهود وإعادة سيطرة أكسوم للمرة الثالثة على بلاد اليمن · وفى أيام الملك الأكسومى جبرا ماسكل (Gabra Maskal) أغرى أبرهة الأشرم سيده على غزو الحجاز وهدم الكعبة ، ليصرف التجار العرب عن مكة المكرمة وليحول حجيجهم وتجارتهم إلى صنعاء بدلا منها ·

وقد تمت تلك الحملة المشئومة الفاشلة عام ٥٧٠م ، وهو نفس العام الذى ولد فيه النبى– صلى الله عليه وسلم –وقد أطلق العرب على تاريخ تلك الغزوة (عام الفيل) (٢) ·

---

(١) انظر : صورة لمملكة أكسوم القديمة ، ص ·

(٢) انظر القرآن الكريم (سورة الفيل) ، ١٠٥ ، و (سورة قريش) ، ١٠٦ ، وابن هشام «أبومحمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميرى » : السيرة النبوية ، الجزء الأول ، (١٣٥٥ هـ – ١٩٣٦م) ، صفحات ٣٨، ٣٩، ٤٣، ٤٥، ٤٧و ٥٩ ·

وإذا كانت أكسوم المسيحية قد منيت بالفشل فى تلك الغزوة فإن ما لقيته فى اليمن من هزيمة كان بالغ الأثر · فقد ثار اليمنيون بقيادة سيف بن ذى يزن ، واستنجدوا بالفرس مما ملكهم من إخراج الأكسوميين من اليمن نهائيا لتدخل تلك البلاد فى حوزة الفارسيين حتى الفتح الإسلامى · وبازدياد النفوذ الفارسى فى البحر الأحمر أولا، ثم بعد ظهور وانتشار الإسلام، فقدت أكسوم سيطرتها على سواحل البحر الأحمر مما قطع صِلاتها بالشرق الأوسط والعالم المسيحى المعاصر، ومع ذلك فقد بقيت هنالك علاقات ضعيفة مع الكنيسة القبطية بالأسكندرية، والتى كانت منذ القرن السابع الميلادى تعامل بتسامح منقطع النظيرتحت سيطرة المسلمين · أما العلاقات مع ممالك النوبة المسيحية فى الغرب والتى لم تكن حسنة فيما بينها ، فقد قطعت بواسطة قبائل البيجا الغزاة الذين توغلوا واستوطنوا فى الأجزاء الغربية من هضبة إريتريا ·

وعلى الرغم من تخطى مملكة أكسوم مرحلة عنفوانها وتقلص مطامعها على سواحل البحر الأحمر والسهول المتاخمة لها لم تسقط المملكة المسيحية أنذاك ، حيث قاومت الكنيسة والعائلة المالكة عوامل الانهيار · كما قاما معا بالتوسع السياسى والنشاط التبشيرى الموجه نحو الجنوب على طول أقاليم تجرى وأمهرا وهضبتى قوجام وشوا · كما ظلت هنالك علاقات سلمية ذات صبغة تجارية فى الغالب الأعم بين مملكة أكسوم والجزيرة العربية ·والدليل على ذلك معرفة المنتجات التقليدية لأكسوم فى الجزيرة العربية ، ووجود

الأحباش الموالى وسط القريشيين فى الحجاز فى صدر الإسلام، وغيرهم ممن امتزجت فى عروقهم الدماء العربية إضافة إلى دمائهم الإفريقية ، والذين عرفوا « بأغربة العرب » · واختيار بلاد أكسوم بوصفها ملجأ للمسلمين الأوائل الذين عُذِّبوا على يد كفار مكة لدليل آخر على العلاقات السائدة بين عرب الحجاز ومملكة أكسوم عند ظهور الإسلام ·

٣ - بداية الصراع بين المسيحيين والمسلمين :

بدأ تحرش الملوك المسيحيين بالإسلام فى الحبشة فى أواخر القرن السابع الهجرى حيث بدأ ملوك إثيوبيا يسيئون معاملة المسلمين بتثقيل كواهلهم بفرض ضرائب فادحة لا تتحملها حالتهم المادية بقصد التضييق عليهم وإفلاسهم · وقد كان أول من أساء معاملتهم من الملوك هو الملك «يكونوأملاك» ·

ويمكن القول بأن هذا الصراع قد بدأ بعد استرداد العائلة السليمانية للعرش الإثيوبى بتولى يكونوا أملاك (Yekuno Amalak) الحكم ما بين عام ١٢٧٠ و ١٢٨٥م · وقد تبع ذلك انتقال مركز الدولة الإثيوبية من إقليم لاستا إلى أمهرا فى الجنوب ، كما أدى ذلك إلى اتخاذ سياسات عدائية تدريجيا من قبل ملوك إثيوبيا ضد الممالك الإسلامية المجاورة ، وخاصة مملكة إيفات ، بهدف الحد من توسعهم وسيطرتهم على طرق التجارة الداخلية والخارجية تمهيدا للقضاء عليهم · وعلى الرغم من أن البواعث الأساسية لبداية هذا

الصراع كانت سياسية واقتصادية فى المقام الأول ، فإن عامل النزاع الدينى بين القوتين المتجاورتين والمتعصبتين لديانة أتباعهم سرعان ما طغى على ما سبقه من أسباب ومبررات ٠

وعلى ذلك بدأ الصراع بين المسيحيين والمسلمين ، فى بادئ الأمر على شكل مناوشات بسيطة ومحدودة على الحدود والتخوم التى تفصل بين ممالك الفريقين ٠ لكن هذا قد تطور فيما بعد مما أدى إلى نشوب قتال، ومعارك طاحنة بينهما ٠ وترجع بداية تلك الأحداث إلى عهد يعقيبا صيون (Yagbea Syon) (١٢٨٥م – ١٢٩٤م) والأباطرة الذين جاءوا للحكم من بعده٠ وقد غدت تلك الحروب متصلة وعنيفة بصفة خاصة فى عهد عمدا صيون الأول (Amda Syon I) (١٣١٤م – ١٣٤٤م) وخليفته سيفا أراد (Sayfa Arad) (١٣٤٤م – ١٣٧٢م) (١) ٠

ويمثل عهد زراء يعقوب (Zara Yagob) (١٤٣٤م – ١٤٦٨م) أوج عظمة وقوة العائلة السليمانية سياسيا وعسكريا ، فسرعان ما أصاب الوهن الدولة المسيحية بعد ذلك مما دفع ملوكها إلى التخلى عن السياسات العدائية الهجومية ضد جيرانهم من المسلمين واتخاذ سياسات يغلب عليها الطابع الدفاعى ٠

---

(١) الأمين عدالكريم : مرجع سابق ، ص ٥١ ٠

تزخر المصادر الإثيوبية للفترة ما بين القرن الثالث عشر والخامس عشر الميلادى بتفاصيل الاقتتال المتواصل بالغ العنف بين الفريقين ، وما تبعه من دمار وقتل وسبى · فالغزوات العديدة لبلاد إثيوبيا التى قام بها حق الدين ، سلطان إيفات مع حليفه حاكم وفاتاجار ، أدت إلى تصدى عمدا صيون الأول إليهم · ففى عام ١٣٢٨م أوقع بهم شر هزيمة وخرب بلادهم· ثم رجع إلى بلاده وبرفقته حق الدين الذى وقع فى الأسر بعد أن نصب أخاه صابر الدين مكانه بوصفه حاكما تابعا له على كل من إيفات وفاتاجار · وما لبث أن تحالف صابر الدين مع كل من سلاطين هادية ودوارا وتم الاتفاق بينهم على مهاجمة إثيوبيا كل منهم فى جهة مختلفة فى وقت واحد· ولكن عمدا صيون تمكن من إجهاض هذا المخطط حيث تمكن من محاربة جيوش كل منهم على انفراد ملحقا بهم الهزائم الواحدة تلو الأخرى · وكانت إمارة هادية هى أول من تصدى لها عمدا صيون فخرب أقاليمها وأحرق مساجدها وسبى واسترق العديد من مواطنيها· وكان نفس المصير من نصيب إمارة فاتاجار ثم دوارو من بعدها · أما إمارة إيفات نفسها فقد أرغمت على الخضوع المباشر لسلطان ملك إثيوبيا مع الإبقاء على حياة حاكمها الذى أخذ أسيرا · وبهذا تم القضاء على الاستقلال الفعلى لتلك الإمارات الإسلامية، حيث عمل عمدا صيون على إخضاعها لسيطرة إثيوبيا تحت أمرة جمال الدين · الأخ الآخر لحق الدين بوصفه حاكما عليها من قبل سيده ملك إثيوبيا المنتصر·

وقد أثارت انتصارات عمدا صيون الأول تلك حفيظة سلاطين إمارات عدل وموورا ، الذين سارعوا لمحاربة الملك الإثيوبى دون أن يحالفهم التوفيق · ثم عادوا مرة أخرى ، بعد أن ضموا جمال الدين إلى صفوفهم لمقاتلة عمدا صيون، لكن هذا الأخير تمكن من إحراز النصر عليهم ثم أنزل الدمار بهم وأحرق مدنهم الكبرى ومساجدهم (١) ·

ولم يكن حال المسلمين فى الفترة التى تلت انتصارات عمدا صيون الأول أفضل مما سبق · ومما ذكره ابن فضل الله العمرى، ونقله عنه القلقشندى ، يتبين لنا أن الغلبة كانت لإثيوبيا فى حين تقلص دور الإمارات الإسلامية إلى الخضوع لسلطان ملك إثيوبيا على الرغم من المحاولات العديدة من جانبهم للخلاص من سيطرته ·

ولم يتغير هذا الحال خلال القرن الرابع عشر الميلادى · ففى عام ١٣٧٦م وبعد توليه الحكم بقليل رفض حق الدين الثانى الهيمنة الإثيوبية وشن الحرب مجددا ، ولكنه هزم وقتل كما قتل العديد من جنده · وباءت محاولة شقيقه سعد الدين الثانى لمواصلة الحرب بالفشل إذ هزمت جيوشه وهرب بنفسه إلى زيلع حيث تتبعه الإثيوبيون وقتلوه عام ١٤٠٢م بعد حصار طويل · وباحتلال الإثيوبيين لميناء زيلع الذى استمر لمدة عشرين عاما ،

(1) E.A.W. Budg : Op. Cit., PP. 305-312 : J.S. Trimengham; Op. Cit., 74 - 76, 78 " T. Tamrat, Op. Cit., PP. 150-155.

كتبت النهاية لوجود إمارة إيفات · أما أبناء سعد الدين الثانى العشرة فقد ذهبوا إلى اليمن حيث وجدوا الملجأ لفترة وجيزة عند حاكمها أحمد بن الأشرف إسماعيل· ثم عادوا بعدها واتخذوا لأنفسهم لقب سلاطين عدل (١) ·

ومن الملاحظ أن مسرح تلك الحروب التى دار رحاها طوال الثلاثة قرون الماضية ظل فى أغلبه خارج نطاق أرض الدولة الإثيوبية نفسها· ولكن فى عام ١٥٢١م قام أبو بكر بن محمد سلطان عدل بنقل مركز إمارته من داكار إلى هرر (٢) · مما جعل إمارة عدل أكثر قربا من إثيوبيا وأوثق صلة بما يدور من صراع بينهما وبين المسلمين المجاورين لها ·ومنذ ذلك التاريخ غدت إمارة عدل النصير الرئيسى للمسلمين فى نزاعهم مع دولة إثيوبيا · وقد تميزت إمارة عدل بموقع استراتيجى مهم لتحكمها فى طرق التجارة الرئيسية التى تربط الأقاليم الشرقية والجنوبية الشرقية بميناء زيلع – كما كان تحت إمرة سلاطينها – بحكم جوار إمارتهم لقبائل الصومال والعفر – مقاتلون مولعون بالقتال ومتمرسون فى سرعة الحركة والمراوغة · وقد مكنت هذه المميزات حكام عدل من إحراز بعض الانتصارات فى الحروب التى خاضوها ضد الإثيوبيين · فمن الأرجح أن كل من الأباطرة ثيدروس وإسحاق قد فقدوا حياتهم فى عام ١٤١٢م و ١٤٣٠ م بالتتالى فى القتال ضد عدل ، ولكن هذا النجاح لم يستمر طويلا إذ سرعان ما رجحت كفة الإثيوبيين ،مما نتج عنه مقتل عدد من سلاطين عدل مثل صبر الدين الثانى ومنصور وجمال الدين

---

(١) زاهر رياض : مصدر سابق ، ص ٧٨ · ٧٩ ·

(2) Trimingham : Op. Cit., PP. 75-76, 78-80; Ullendroff : Op.Cit., PP. 69-71. J.S. Trimingham : Op. Cit., P.85.

وبادلى بن سعد الدين فى الحروب التى دارت بين الطرفين فى الفترة الوجيزة ما بين عام ١٤٢٢م وعام ١٤٤٥م ٠

ويعتبر عهد زراء يعقوب (١٤٣٤م – ١٤٦٨م) بصفة عامة ذروة قوة الدولة الإثيوبية سياسيا وحربيا ، حيث اضطر الأباطرة الذين خلفوه إلى اتخاذ سياسات غلب عليها الطابع الدفاعى فى وجه موجات الهجوم المتجددة من قبل القوى الإسلامية (١) ٠

وقد اتفق تغير الحال مع حدوث تغيرات سياسية واجتماعية فى إمارة عدل وفى غيرها من المشايخ الإسلامية الواقعة فى السهول الممتدة بين سفوح الهضبة الإثيوبية والبحر الأحمر ٠ فبسبب إنهاك قواهم والخسائر الجسيمة التى لحقت ببلادهم من جراء الحروب المتعددة التى خاضوها ، اتخذ الحكام التقليديون سياسات جديدة تهدف إلى التعايش السلمى مع مملكة إثيوبيا المسيحية ٠ ولم ينل هذا الموقف رضا أكثرية المسلمين المتحمسين لدينهم وعلى رأسهم مجموعة من الدعاة أطلق على كل منهم لقب الإمام ٠ فقد كان الرأى عند هؤلاء الدعاة وأتباعهم أن الجهاد لا المهادنة هو الواجب الأول على المسلمين فى محاربة الإثيوبيين وأتباعهم ، وكان طبيعيا أن ينمو ويتزايد نفوذ هؤلاء الدعاة الذين كانوا أصلا موضع التقدير من مواطنيهم على حساب سلطة الحكام التقليديين وخصوصا عند قبائل الصومال والعفر٠ ونتج عن إحالة الأمراء من أسرة عمر ولشما – فى إمارة عدل على وجه الخصوص – إلى مرتبة حكام صوريين بينما تجمعت أغلب السلطات السياسية والحربية فى أيدى مجموعة الأمراء ٠

---

(١) الأمين عبدالكريم : مرجع سابق ، ص ٥٣ ٠

وهكذا كان القرن الثامن الهجرى أوضح زمن عرفت فيه حالة الإسلام بالتفصيل فى هذه البلاد ، فقد اعتنى المؤرخون بتدوين أخبار حكوماتها الإسلامية وألفوا فيها كتبا كثيرة وكان ممن ألف فى ذلك المقريزى كتابا أسماه « الإعلام عما فى أرض الحبشة من ملوك الإسلام » وكذلك المؤرخ الكبير شهاب الدين العمرى فى كتابه « مسالك الأبصار » والقلقشندى فى كتابه «صبح الأعشى » · وفى العصور الوسطى ما كتبه المؤرخ الكبير الدكتور رجب عبدالحليم فى كتابه « عن العلاقات السياسية بين مسلمى الزيلع ونصارى الحبشة فى العصور الوسطى » وجميعهم وصفوا ممالك الإسلام فى إثيوبيا وذكروا أنها إمارات سبع إسلامية تتمتع بالرخاء والسعادة (١) ·

وقد تعددت مظاهر العداء والصراع بين دولة الحبشة المسيحية وممالك الزيلع الإسلامية منذ أن تولت الأسرة السليمانية حكم الحبشة كما أوضحنا فى عام ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠م ، وقام كل فريق بدوره فى تصعيد ذلك الصراع وفى تكثيفه · وكانت ردود الأفعال الناتجة عن هذا الصراع تحدث لدى الجانبين · فإذا قام الأحباش بعدوان رد عليه المسلمون بقدر استطاعتهم · وإذا اعتدى الأحباش على مقدسات إسلامية كحرق المصاحف وتخريب المساجد وهدمها ، قام المسلمون بنفس الشىء عند هجومهم على بلاد الأحباش ، فيحرقون الكنائس ويدمرونها (٢) ··· إلخ ·

---

(١) أبو أحمد الإثيوبى : مرجع سابق ، ص ٣٦ ·

(٢) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » : مرجع سابق ، ص ١٢١ ·

التنصير الإجبارى لمسلمى الزيلع الإسلامية :

وتظهر هذه الناحية فى نشاط ملوك الحبشة المكثف فى تنصير المسلمين تنصيرا إجباريا وفى فرض النصرانية على بلاد إسلامية بأكملها ، مستخدمين فى ذلك كافة الوسائل من ترغيب وترهيب وتعذيب (١) .

وقد عمد ذرا يعقوب (٨٣٨ – ٨٧٣ هـ /١٤٣٢ – ١٤٦٨م) إلى القضاء على الوثنية وعلى كل ما هو غير مسيحى فى مملكته . وكان هذا الملك يعتبر ممالك الزيلع الإسلامية السبع تقع ضمن مملكته ، كما هى عادة ملوك الحبشة (٢) . وحرصا على تحقيق هدفه فى نشر المسيحية واضطهاد مخالفيها من أصحاب الأديان الأخرى كالمسلمين واليهود والوثنيين فقد عين موظفا خاصا مهمته تعقب غير المسيحيين والتبليغ عنهم لتقديمهم للمحاكمة (٣) .

وقد أرغم زرا يعقوب جميع السكان غير المسيحيين على اعتناق المسيحية لتصوره بأن ذلك سيخلق إثيوبيا المتحدة (٤).

ويقول الدكتور محمد عبدالحليم فى كتابه مسلمى الزيلع : « وقد ذهب هذا الملك فى اضطهاده للمسلمين حدا جعله يقرر ويأمر بأن تنصر له إحدى بنات ملوك المسلمين فى بلاد الزيلع وأن تحمل إليه كل عام ، فكان يتم ذلك خوفا من عدوانه على المسلمين وقتلهم وحرق مساجدهم إذا امتنعوا عن ذلك . فكانوا يرسلونها له بعد أن يغسلوها ويكفنوها ويصلون عليها على

---

(١) القلقشندى : مرجع سابق ، حـ ٥ ، ص ٣٣٦ .

(٢) رجب محمد عبدالحليم « دكتور »: مرجع سابق، ص ١٢٢ .

(٣) زاهر رياض : الإسلام فى إثيوبيا ، ص ١٣٥.

(٤) زاهر رياض : تاريخ إثيوبيا ، ص ٨١ .

اعتبار أنها قد ماتت بخروجها عن دين الإسلام » (١) .

ويبدو أن عمليات التنصير التى فرضها ملوك الحبشة على المسلمين فى بلاد الزيلع ومنطقة القرن الإفريقى بصفة عامة ، كانت واسعة ومستمرة . فقد تحول عدد لا بأس به من أهل تلك البلاد الإسلامية إلى المسيحية خوفا من بطش ملوك الحبشة ، وتم هذا التحول فى نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلادى بالذات بعد أن ضعف المسلمون وقوى الأحباش بما عقدوه من صلات مع ملوك أوروبا وأصحاب المشاريع الصليبية (٢) .

وفى هذه الفترة وصلت إلى الحبشة أول بعثة برتغالية فى عهد الملك داوود ، ومن شدة حقده على الإسلام اقترح على الوفد البرتغالى أن يشترك ملوك فرنسا وأسبانيا والبرتغال فى حرب صليبية معه يشنها على جيرانه العرب (٣) ، ولكن رئيس الوفد البرتغالى رفض هذا العرض .

وهذا الحديث يقودنا إلى الجهاد الذى قام به الإمام أحمد بن إبراهيم ، وكما هو معروف ومما سردناه من حقائق تاريخية أن الإسلام قد دخل الحبشة وانتشر فيها سلميا بالدعوة الحسنة دون سفك الدماء واستعمال القوة إلا دفاعا عن العدوان الذى قام به الإمبراطور « يكونوا املاك » وخلفاؤه على الإمارات الإسلامية .

وخلال تلك الفترة الحالكة المظلمة بزغ فجر المجاهد الكبير الإمام أحمد ابن إبراهيم «صلاح الدين الحبشى » حاملا راية الجهاد فاكتسحت جيوشه

---

(١) عرب فقيه : مصدر سابق ، ص ٢٨١ .

(٢) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » : مرجع سابق ، ص ١٢٤ .

(٣) ابو احمد الإثيوبى : مرجع سابق ، ص ٤٠ .

معظم الإمبراطورية بل جميع أقاليم الحبشة بادئة من مدينة هرر قاعدة إمارته في الجنوب الشرقي للحبشة حتى توغلت إلى الشمال وإلى الغرب وكان يقودها بنفسه فأوقعت أعظم الرعب في قلوب ملوك المسيحية · وقد انتصر الإمام أحمد في عدة وقائع مشهورة انهزمت فيها القوات الحبشية حيث رفرف علم التوحيد في أرجاء الحبشة كلها في عهده ولم يزل يواصل جهاده وينشر دعوة التوحيد والعدل والحق ستة عشر عاما من سنة ٩٣٤ إلى ٩٥١ هـ الموافق ١٥٢٨ – ١٨٤٥م حتى استشهد في إحدى غزواته ، وسوف نتحدث بالتفصيل في الفصل السادس حول جهاده وانتصاراته ·